المستحسن وغير المستحسن في فروع أصوات العربية

ياسر الملاح*

أولاً – مقدمة

يرجع هذا التصنيف الى سيبويه. فقد ورد في الكتاب ان الحروف العربية قسمان: أصول وفروع. أما الأصول فهي حروف المعجم التسعة والعشرون، وهي التي يعتبرها العلماء أصوات اللغة العربية الفصيحة، ويقرأ بها القرآن. ومعروف ان هذه الأصول هي التي يقسمها العلماء الى زمر وفق أسس متعددة. فهناك الصامت الذي يتصف انتاجه باعتراض ما في مجرى تيار الهواء الخارج من الرئتين الى القصبة الهوائية وبقية أعضاء النطق او يقع الاعتراض في نقطة من النقاط الممتدة بين الحلق والشفتين. وهناك الصائت الذي يتصف انتاجه بانطلاق تيار الهواء الخارج من الرئتين الى بقية أعضاء النطق حرا دون ان يعترضه شيء في أثناء مروره بجميع النقاط الممتدة بين الحلق والشفتين. وأما الفروع فهي أصوات قسمها سيبويه الى قسمين: مستحسن وغير مستحسن. أما المستحسن الذي عبر عنه سيبويه بقوله: (.. وتكون خمسة وثلاثين حرفا بحروف من فروع، وأصلها من التسعة والعشرين وهي كثيرة يؤخذ بها وتستحسن في قراءة القرآن والأشعار...)(١) فهي: النون الخفيفة، والهمزة التي بين بين، والألف التي تمال إمالة شديدة، والشين التي كالجيم، والصاد التي تكون كالزاي، وألف التفخيم. وأما غير المستحسن الذي عبر عنه سيبويه بقوله: (وتكون اثنين وأربعين حرفاً بحروف غير مستحسنة ولا كثيرة في لغة من ترتضى عربيته، ولا تستحسن في قراءة القرآن ولا في الشعر...)(٢) فهي: الكاف التي بين الجيم والكاف، والجيم التي كالكاف، والجيم التي كالشين، والضاد الضعيفة والصاد التي كالسين، والطاء التي كالتاء، والظاء التي كالثاء، والباء التي كالفاء. وقد ذكر سيبويه ان هذه الحروف المستحسنة وغير المستحسنة لا تتبين إلا بالمشافهة. والمشكل الذي سأحاول توضيحه في هذه المقالة ان هذه الأصوات لم توصف وصفا دقيقا يمكننا من معرفتها معرفة

---

* د. ياسر الملاح: أستاذ مشارك في دائرة اللغة العربية في جامعة بيت لحم.

واضحة ما دامت لا تتبين إلا بالمشافهة، وأن سيبويه لم يعن بايراد الأمثلة التي توضحها. فما هي هذه الأصوات وهل في لهجاتنا المعاصرة ما يعين على وصفها وتوضيحها؟ فهذا هو الموضوع الأساسي لهذه المقالة.

ثانياً – المستحسن في فروع أصوات العربية

بلغت الأصوات المستحسنة في العربية، كما ورد في نص سيبويه، ستة أصوات هي: النون الخفيفة والهمزة التي بين بين والالف التي تمال إمالة شديدة والشين التي كالجيم والصاد التي تكون كالزاي وألف التفخيم. وقد وصفت هذه الأصوات بأنها:

١- فروع أي مشتقة من الحروف الأصول.
٢- مستحسنة في لغة من ترتضى عربيته.
٣- يقرأ بها في القرآن والأشعار.

وسأحاول في ما يلي وصف كل صوت من هذه الأصوات.

١- النون الخفيفة:

ورد هذا المصطلح في كتاب سيبويه لأول مرة. فليس بين أيدينا نص آخر من التراث العربي يثبت وروده في مكان آخر قبل سيبويه. ثم تناوب الكتاب والعلماء على ذكره في مصنفاتهم. ورد في الخصائص ما نصه (ومما نحن بسبيله مذهب يونس في إلحاقه النون الخفيفة للتوكيد في التثنية، وجماعة النساء، وجمعه بين ساكنين في الوصل، نحو قوله: اضربانْ زيداً واضربنان عمراً...)(٣). وورد في كتاب الحروف للإمام المزني أن: (النونات اثنتا عشرة نوناً، نون التثنية ونون الجمع الصحيح ونون جمع التأنيث ونون علامة رفع المستقبل ونون الجمع المكسور والنون الخفيفة والنون الثقيلة ونون الاستقبال والنون الزائدة ونون العماد وهي التي تسمى نون الوقاية والنون الأصلية ونون البدل)(٤). وورد في كتاب معاني الحروف للرماني في مبحث النونات قوله: (... ونون التوكيد نحو اضربنْ زيداً مخففة... ونون الصرف نحو قولك رأيت زيداً يا هذا تسمى تنويناً وهي نون خفيفة في الحقيقة)(٥). وفي سر صناعة الاعراب يشرح ابن جني قول سيبويه عن هذه النون الخفيفة فيقول: (ومن الخياشيم

مخرج النون الخفية، ويقال الخفيفة، اي الساكنة... ويدلك على أن النون الساكنة إنما هي من الأنف والخياشيم، أنك لو أمسكت بأنفك، ثم نطقت بها لوجدتها مختلة)(٦) وكان المبرد قبل ابن جني قد شرح معنى هذه النون في المقتضب فقال: (فأما النون الساكنة فمخرجها من الخياشيم نحو نون منك وعنك وتعتبر ذلك بأنك لو أمسكت بأنفك عند لفظك بها لوجدتها مختلة)(٧).

فما النون الخفيفة إذن؟ أهي نون التوكيد الخفيفة؟ أهي النون الساكنة في نحو (منك) و(عنك)؟ إن الذي يتضح من كل ما سبق ان النون الخفيفة التي يقصدها سيبويه هي النون الساكنة الخفية أي التي تخفى عند نطقها من الخياشيم مع تأهب أعضاء النطق لانتاج الصوت الذي يليها في ترتيب أصوات الكلمة. وقد أطلق عليها علماء التجويد النون الساكنة ثم رصدوا أحكام هذه النون فوجدوا أنها إظهار وإدغام وإقلاب وإخفاء. ويعرفون الإخفاء بأنه وجوب تحقيق الغنة وإخفاء معظم لفظ النون الساكنة والتنوين عندما يتلوهما حرف من حروف الإخفاء وهي: (ت، ث، ج، د، ذ، ز، س، ش، ص، ض، ط، ظ، ف، ق، ك). ومن أمثلة هذه النون: أنْتم، إنْ كنْتم، الإنْسان، منْشورا، ينْصركم.

ويرى الدكتور تمام حسان أن هذه النون هي النون الخفية وهي غير النون الخفيفة(٨). وكأنه يوحي بأنه كان على سيبويه أن يسميها الخفية كما سماها ابن جني. وأما المبرد فقد سماها النون الساكنة(٩). ويبدو أن وصف هذه النون بالإخفاء أولى من وصفها بالخفة لأن الخفة تقابل صورة أخرى للنون وهي النون المتحركة. فنون التوكيد الثقيلة المتحركة تقابلها نون التوكيد الخفيفة الساكنة. وكلما وصفت النون بالخفة فان الذهن ينصرف الى نون التوكيد. ومع أن ابن جني وصفها أولا بالخفية غير أنه عاد وسوى بين هذه المصطلحات الثلاثة:

الخفية = الخفيفة = الساكنة.

والحق أن تسمية هذه النون الواردة عند سيبويه بالنون الخفية هو أسلم لأن وصفها بالإخفاء يتفق وحقيقتها في النطق. ولأن علماء التجويد اختاروا لها هذا الوصف، ولأن بعض علماء العربية فسروها بوصف الإخفاء.

فما الذي يدعو الى إخفاء هذه النون عندما يتلوها حرف من حروف الإخفاء؟ نحن نقر أولاً بأنه مظهر لهجي ثم إن علماء التجويد اعتبروه مظهراً لقراءة من قراءات القرآن. والتفسير العلمي الذي نقدمه لإخفاء النون هو اقتراب مخارج حروف الإخفاء من مخرج النون. ولئن كان هذا واضحاً في (ت، ط، د، ض، س، ص، ز، ث، ظ، ذ، ف، ج، ش) فانه غير واضح في القاف والكاف. ومعروف أن القاف والكاف يخرجان من الطبق واللهاة. وهما قريبان من التجويف الأنفي الذي يشترك في إنتاج النون والغنة. ومما يعزز هذا التفسير أن الأصوات التي تشترك مع النون في المخرج وهي اللام والراء لا بد من إدغامها فيهما والأصوات التي تصدر من الحلق لا بد من إظهارها معها.

٢- الهمزة التي بين بين:

لم يرد هذا المصطلح أولا إلا عند سيبويه. ثم أخذ اللغويون يرددون استعماله من بعد. وقد شرح سيبويه هذا المصطلح في مكان آخر من الكتاب فقال(١٠): (هذا باب الهمز. إعلم أن الهمزة تكون فيها ثلاثة أشياء: التحقيق والتخفيف والبدل... وأما التخفيف فتصير الهمزة فيه بين بين... إعلم أن كل همزة مفتوحة كانت قبلها فتحة فانك تجعلها إذا أردت تخفيفها بين الهمزة والألف الساكنة وتكون بزنتها محققة غير أنك تضعف الصوت ولا تتمه وتخفي لأنك تقربها من هذه الألف وذلك قولك سال في لغة أهل الحجاز إذا لم تحقق كما يحقق بنو تميم وقد قرأ قبل بين بين. وإذا كانت الهمزة منكسرة وقبلها فتحة صارت بين الهمزة والياء الساكنة كما كانت المفتوحة بين الهمزة والألف الساكنة ألا ترى أنك لا تتم الصوت ههنا وتضعفه لأنك تقربها من الساكن ولولا ذلك لم يدخل الحرف وَهْن وذلك قولك يئس وسئم وإذ قال إبراهيم(١١) وكذلك أشباه هذا. وإذا كانت الهمزة مضمومة وقبلها فتحة صارت بين الهمزة والواو الساكنة والمضمومة قصتها وقصة الواو قصة المكسورة والياء. فكل همزة تقرّب من الحرف الذي حركتها منه. فانما جعلت هذه الحروف بين بين ولم تجعل الفاتٍ ولا ياآت ولا واوات لأن أصلها الهمز فكرهوا أن يخففوا على غير ذلك فتحوّل عن بابها فجعلوها بين بين ليعلموا أن أصلهُ عندهم الهمز. وإذا كانت الهمزة مكسورة وقبلها كسرة أو ضمة فهذا أمرها أيضا وذلك قولك: من عند إبلك ومرتع إبلك. وإذا كانت الهمزة مضمومة وقبلها ضمة أو كسرة فانك تصيرها بين بين؛ وذلك قولك: هذا درهم أختك ومن عند أمك وهو قول العرب وقول الخليل).

والذي دفعني الى أخذ هذا النص جميعه من سيبويه وضوحه وتفصيله وبيان أن كل من شرح همزة بين بين ممن جاء بعد سيبويه إنما اعتمد هذا النص في شرحه(١٢).

ولتوضيح ما ذكره سيبويه وغيره كالمبرد(١٣) وابن جني(١٤) والسيرافي(١٥) عن همزة بين بين ولاختصاره نورد الجدول التالي:

أحوال همزة بين بين

حركة الهمزة	الحركة التي قبلها	ينحى بها نحو	مثل
مضمومة	فتح	الواو	لَؤُم
مضمومة	كسر	الواو	من عند أمك
مضمومة	ضم	الواو	هذا درهم أختك
مفتوحة	فتح	الألف	سأل
مفتوحة	كسر	(ياء خالصة)	مئَر
مفتوحة	ضم	(واو خالصة)	جُوَن
مكسورة	فتح	الياء	يئِس
مكسورة	كسر	الياء	من عند إبلك
مكسورة	ضم	الياء	سُئِل

وهكذا تكون الهمزة التي بين بين همزة (ضعيفة ليس لها تمكن المحققة ولا خلوص الحرف الذي منه حركتها)(١٦). وإن شئت شرحت معناها على النحو الذي شرحه المبرد فقلت إنها ينحى بها نحو الحرف الذي اشتقت منه حركتها كما هو مبين في الجدول. ويمكننا استخلاص ثلاثة قوانين مطردة هي(١٧):

إذا كانت الهمزة مضمومة فانه ينحى بها نحو الواو مع كل حركة تقع قبلها.

وإذا كانت الهمزة مكسورة فانه ينحى بها نحو الياء مع كل حركة تقع قبلها.

وإذا كانت الهمزة مفتوحة فانه ينحى بها نحو الألف مع حركة الفتح التي تقع قبلها فقط.

٣- الألف التي تمال إمالة شديدة:

وقد عبر عنها المبرد بالألف الممالة(١٨) وابن جني بألف الإمالة(١٩) . وشرحها سيبويه في موطن آخر من كتابه فقال(٢٠): (هذا باب ما تمال فيه الألفات. فالألف تمال إذا كان بعدها حرف مكسور وذلك قولك عابد ومساجد وعذافر وهابيل.. وإنما أمالوها للكسرة التي بعدها أرادوا أن يقربوها منها...

وإذا كان بين أول حرف من الكلمة وبين الألف حرف متحرك والأول مكسور نحو عماد أملت الألف... وكذلك إن كان بينه وبين الألف حرفان الأول ساكن... وذلك قولهم: سربال وشملال... ومما يميلون ألفه كل شيء من بنات الياء والواو كانت عينه مفتوحة... (العشا والمكا). ومما يميلون ألفه كل إسم كانت في آخره ألف زائدة للتأنيث أو لغير ذلك لأنها بمنزلة ما هو من بنات الياء (معزى وحبلى). ومما يميلون ألفه كل شيء كان من بنات الياء والواو مما هما فيه عين. (خاف/ طاب/ عاب).... ومما تمال ألفه قولهم: كيال وبياع... ومما يميلون ألفه قولهم: مررت ببابه وأخذت من ماله... وسمعناهم يقولون من أهل عاد... وقالوا: رأيت زيدا.... ولا يقولون رأيت عبدا فيميلوا لأنه ليست فيه ياء... وقالوا: درهمان....

وقال ناس: رأيت عماداً فأمالوا للإمالة كما أمالوا للكسرة...)

ولتوضيح المواطن التي تمال فيها هذه الألف يمكننا عرض ذلك بوصف الأمثلة التي ذكرها سيبويه على النحو التالي:

١- عابد/ مساجد/ مفاتيح/ عدافر/ هابيل
قبلها فتح وبعدها كسر

٢- مررت ببابه/ مررت بعجلانك/ مررت بالمال/ درهمان/ من أهل عاد
قبلها كسر وبعدها كسر

٣- سربال/ شملال
قبلها ساكن وكسر وبعدها محايد

٤- كيال / بياع/ شيبان/ قيس عيلان/ غيلان
قبلها فتح وياء وبعدها محايد

٥- الكبا/ العشا/ المكا/ معزى/ حبلى/ دعا
قبلها محايد وهي آخر من بنات الواو أو الياء

٦- خاف/ طاب/ صار/ هاب
قبلها فتح وبعدها فتح وأصلها ياء او واو وهي عين

فهذه جميعاً صور لهجية كان ينطقها بعض العرب ويخالفها آخرون وقد نص سيبويه على اسم القبيلة التي تلفظ الألفات الممالة. والقبائل التي ارتبط أسمها بالإمالة وتكرر هي: بنو تميم وقوم من قيس وأسد. كما وردت عبارة (يميلها فيه ناس من العرب كثير). وفي بعض المواطن وردت عبارة (وكثير من العرب وأهل الحجاز لا يميلون) وترددت عبارة وأهل الحجاز لا يميلون. وهذا كله يشير إلى أن الإمالة ألصق ببني تميم منها بالحجازيين.

وعلى ضوء الظواهر السابقة يمكن تصنيف العبارات التي أوردها سيبويه تحت باب (إمالة الألف يميلها فيه ناس كثير من العرب)(٢١) ومنها قولهم:

- بيني وبينها.
- يريد أن يضربها
- فينا وعلينا.
- هو منا.
- وإنا لله.
- كسرت يدنا.
- هذا مال وهذا باب وهذا عاب.
- منها وبها ونبا.
- رأيت يداً ورأيت يدها.

أما الأسباب التي دعت إلى الإمالة فمنها تقريب الصوت إلى الصوت أو تقريب الألف إلى الياء إذا كان هناك كسرة قبل الألف أو بعدها أو ياء قبل الألف أو بعدها(٢٢). ومنها الأصل اليائي أو الواوي اذا كان عيناً(٢٣). على أن هناك ظواهر تتحقق فيها الإمالة ويصعب علينا تفسيرها لأنها جاءت على غير قياس(٢٤).

٤ـ الشين التي كالجيم:

صوتا "الشين" والجيم يتفقان في أمور ويختلفان في أخرى. أما ما يتفقان فيه فهو المخرج. فالجيم والشين يخرجان من شجر الفم (الحنك الصلب أو الغار) يقول ابن سينا: (وأما الشين فهي حادثة حيث يحدث الجيم بعينه ولكن بلا حبس البتة فكأن الشين جيم لم تحبس وكأن الجيم شين ابتدئت بحبس ثم أطلقت)(٢٥). وأما ما يختلفان فيه فهو الصفة، فالجيم صوت مجهور،

والشين صوت مهموس. ومعنى قول سيبويه ان تكون الشين كالجيم أي أن تقترب الشين المهموسة من الجيم المجهورة فتكتسب الشين بعض صفات الجيم في الجهر. فكيف يكون ذلك ومتى؟

معروف أن الجيم في ترتيب سيبويه تسبق الشين أي أن الجيم أدخل ناحية الحلق من الشين مع أنهما من مخرج واحد. ويحاول ابن جني وصف هذه الشين بقوله: (...فهي الشين التي يقل تفشيها واستطالتها وتتراجع قليلا متصعدة نحو الجيم)(٢٦). ومعنى قوله أن الشين تكتسب بعض صفات الجيم فتخسر شيئا من تفشيها وتكتسب بعضا من الحبس.

وهذا يدخلها في مجال الجيم نفسه فتتراجع لتشارك الجيم في منطقتها نحو الحلق.

ويحدث هذا إذا وقعت الشين المهموسة بجوار صوت مجهور مثل الدال أو الجيم أو الباء وما شابه. ولا بد من كون الشين ساكنة. ففي مثل هذه الحال يؤثر الصوت المجهور على الصوت المهموس (الشين) تأثيرا رجعيا فيكسبه شيئا من الجهر. فاذا كان صوتا الجيم والشين متجاورين ومتحدين في المخرج فان اكتساب أحدهما من الآخر بعض صفاته يجعله مثله.

ويميل إلى هذا التفسير ابن يعيش في شرح المفصل(٢٧) والرضي في شرح الشافية(٢٨). وسيبويه(٢٩) ومن الأمثلة على هذه الظاهرة:

أشدق ..... أجدق(٣٠)
مشدود ..... مجدود
مشغل ..... مجغل
أشجار ..... أجار

فناطق هذه الكلمات يشعر بانتاج صوت جديد يقع بين الشين والجيم أو هو مزيج منهما.

٥ـ الصاد التي كالزاي:

شرح ابن جني الصاد التي كالزاي فقال: (٠٠٠ فهي التي يقل همسها قليلا ويحدث فيها ضرب من الجهر لمضارعتها الزاي وذلك قولك في يصدر يصدر وفي قصد قصد)(٣١)٠ ويعني قول ابن جني أن الصاد المهموسة اكتسبت بعض صفة الجهر الخاصة بالزاي وذلك لمجاورة الصاد صوتا مجهورا كما في كلمة (يصدر)٠ فالصاد صوت مهموس والدال صوت مجهور ثم أثرت الدال على الصاد فأكسبتها صفة الجهر فيها فأصبحت الصاد كأنما هي مزيج من صفات الصاد والدال٠ ولما كانت الزاي أقرب في صفاتها إلى الصاد من الدال كان هذا المزيج من الصاد والزاي فكأن الصاد أصبحت زايا٠

ويذهب الدارسون المعاصرون إلى أن الصاد والزاي من مخرج واحد٠ ولكن الصاد صوت مهموس والزاي صوت مجهور٠ وكذلك فعل سيبويه ومن تابعه من الدارسين كابن جني وعلماء التجويد(٣٢)٠

وكان سيبويه قد شرح هذه الصاد، في موطن آخر من كتابه، فقال: (فأما الذي يضارع به الحرف الذي من مخرجه فالصاد الساكنة اذا كانت بعدها الدال٠ وذلك نحو: مصدر، وأصدر، والتصدير لانهما قد صارتا في كلمة واحدة٠٠٠ فلما كانتا من نفس الحرف أجريتا مجرى المضاعف الذي هو من نفس الحرف من باب مددت، فجعلوا الأول تابعا للآخر، فضارعوا به أشبه الحروف بالدال من موضعه وهي الزاي لأنها مجهورة غير مطبقة)(٣٣).

وواضح من هذا النص أن سيبويه يشترط في هذه الصاد أن تكون ساكنة٠ وأما ابن جني فقد مثل لها بصاد غير ساكنة كما ورد في النص السابق (قَصَدَ)٠

والسبب الذي دعاهم إلى تقريب الصاد من الزاي هو التخفيف٠ وقد عبر عن هذا سيبويه فقال: (وانما دعاهم إلى أن يقربوها ويبدلوها أن يكون عملهم من وجه واحد، وليستعملوا ألسنتهم في ضرب واحد، اذ لم يصلوا إلى الادغام ولم يجروا على ابدال الدال صادا لأنها ليست بزيادة كالتاء في افتعل)(٣٤)٠

وبعض العرب الفصحاء يجعلونها زايا خالصة فيقولون في قَصَد = فزد، وعندئذ تبدل الصاد زايا ولا تكون صادا شبيهة بالزاي(٣٥)٠

٦- ألف التفخيم:

شاع مصطلح التفخيم بين القدماء والمعاصرين٠ ولكن معناه عند المحدثين يختلف عنه عند القدماء٠ فالمحدثون يستخدمون التفخيم في معنى المطابقة عند القدماء٠ أما ألف التفخيم هذه فقد شرحها ابن جني فقال: (٠٠٠ فهي التي تجدها بين الألف وبين الواو، نحو قولهم: سلام عليك و قام زيد٠ وعلى هذا كتبوا الصلوة والزكوة والحيوة بالواو، لأن الألف مالت نحو الواو٠٠٠)(٣٦) وقد نسبها سيبويه إلى لغة أهل الحجاز ومثل لها بكلمات الصلاة والزكاة والحياة(٣٧)٠

وعند نطق هذه الألف تستدير الشفتان قليلا ويتسع الفم لتحرك الفك الأسفل إلى أسفل قليلا وارتفاع مؤخر اللسان قليلا٠ وهكذا يصبح (الفم في مجموعه حجرة رنين صالحة لانتاج القيمة الصوتية التي نسميها التفخيم على لغة أهل الحجاز)(٣٨)٠

٧- الخلاصة:

وعلى الرغم من الجهد الذي بذلناه في توضيح هذه الأحرف وبيان المواطن التي تنطق فيها فانها تبقى بحاجة الى مزيد من البحث والتعريف لأنها لا تتبين إلا بالمشافهة كما قال سيبويه٠

فهل احتفظت اللهجات العربية الحديثة بهذه الصور اللهجية؟ وهل يمكننا إيجاد الأمثلة التي تقنعنا بوجودها كما كانت عند أجدادنا؟ هذا ما سنحاول تبيانه في فصل صغير سنلملم أجزاءه من هنا وهناك لعله يكون حافزا لبعض الباحثين على تخصيص البحث في إقليم من الأقاليم العربية المعاصرة وعلى تعميم الحكم على سائر اللهجات العربية في الأقاليم المختلفة بالبحث والموازنة٠

وكلمة أخيرة في هذه الخلاصة وهي أننا يجب أن نتذكر دائما أن هذه الصّويْتَات أنما هي فروع على الأصوات الأصول أي أنها ألوفونات بلغة علم الأصوات الحديث · ويمكننا توضيح هذا التفرع الألوفوني على النحو التالي:

ن: النون الخفية
ء: همزة بين بين
ا: الف الممالة ، ألف التفخيم
ش: التي كالزاي
ص: التي كالزاي

والدليل الملموس على كونها ألوفونات أن وجودها لم يقرن بأي تنوع معنوي أو دلالي في الألفاظ التي ترد فيها هذه الألوفونات ·

ثالثاً – صور معاصرة للمستحسن في فروع أصوات العربية

سنحاول في ما يلي عرض نماذج مختارة من اللهجات المعاصرة التي تتفق في بنائها الصوتي مع الأصوات الستة التي ذكرناها سابقا في المستحسن من فروع أصوات اللغة العربية · ونهدف من هذا إلى إغراء الدارسين بالبحث في هذا التنوع اللهجي المعاصر حتى نتمكن يوما من الربط بينه وبين التنوع اللهجي الموروث لاعادة بناء اللهجات العربية القديمة الذي قد يساعدنا في حل بعض المشكلات اللغوية التي يصعب علينا تفسيرها ·

١) النون الخفية:

تشيع هذه النون في لهجة فلسطين بفضل الاقبال الكبير على تعلم قراءة القرآن برواية حفص · ومعلوم أن هذه القراءة تظهر اهتماما ملحوظا بالنون الساكنة ومواطن الاخفاء فيها(٣٩) · والمدقق في هذه اللهجة يكتشف الاخفاء في قولنا:

عندك، ينقل، ينكسي، أنطيني(٤٠)

٢) الهمزة التي بين بين:

يغلب على اللهجات العربية المعاصرة تخفيف الهمزة. وما دمنا اعتبرنا هذه الهمزة التي ذكرها سيبويه من باب تخفيف الهمزة، وقد ذكر هذا معظم من بحث في هذا الموضوع، فان احتمالا قويا ايجاد هذا الالوفون في الصور الالوفونية المعاصرة للهمزة. ومما يدل على هذا قولنا في فلسطين:

سال (سأل) راس (رأس) بير (بئر) ذيب (ذئب) قرا (قرأ) مومنين (مؤمنين) مونه (مؤنة).

وقد اكتشف الباحثون في لهجة بدو ساحل مريوط بمصر أمثلة شبيهة بهذه.(٤١)

٣) الألف الممالة إمالة شديدة:

تتصل هذه الألف بظاهرة الامالة. وتكثر الامالة في اللهجات العربية الحديثة بصورة ملحوظة. أما هذه الألف التي يغلب عليها أن ننحو بالفتحة الطويلة (الألف) نحو الياء فمظاهرها في اللهجات العربية الحديثة قولنا:

- والضحى والليل إذا سجى . كما في بعض القراءات.
- بيت (بَيْت).
- راكبين (راكبان) كما في لهجة فلسطين.
- عيلم (عالم) قيعد (قاعد) كما في لبنان.

وتوجد هذه الالف الممالة كثيرا في لهجة بدو ساحل مريوط كقولهم(٤٢):

- بُليد (بلاد)، جبيل (جبال)، حسيب (حساب)، رميل (رمال)، كتيب (كتاب).
- ذيكر (ذاكر)، كيتب (كاتب)، منيهل (مناهل)، سيبع (سابع)، تنهيهن (تنهاهن)، معيك (معاك).
- سييسه (سياسة)، بَيين (بيان)، عييل (عيال)، أيتيم (أيتام).
- دييز (ديار)، حكيية (حكاية)
- شاربيت (شاربات)، واكليت (أكلات)، مدبوحيت (مدبوحات)
- بيب (باب)، نيس (ناس)، حليل (حلال)، شبعين (شبعان).

كما وجد بعض الباحثين(٤٣) أن هذه الامالة تنتشر في:

- واحة سخنة شرقي مدينة تدمر كقولهم: شيرب (شارب)٠
- اكثر لبنان وجبل الدروز٠
- عنابة بالجزائر
- لهجة مالطة كقولهم: تمين (ثمانية)، تمينين (ثمانين)، تليت (ثلاثة) تليتين (ثلاثين)٠
- لهجة حوران (كما ورد عند برجستراسر) كقولهم: بنسي (ينسى) بنسامي (ينساها)٠
- لهجات طرابلس والساحل التونسي وصحراء الجزائر٠
- اللهجات الصحراوية في شمال افريقيا كقولهم: سْمي (سماء)، قفي (قفا)

٤- الشين التي كالجيم:

تندر مثل هذا الصوت في اللهجات العربية الحديثة٠ ورغم ذلك فهناك صور له في :

- فلسطين فيقولون : أشجع/ أشغال
- القاهرة فيقولون : أشغال / أشجار (٤٤)٠

٥- الصاد التي كالزاي:

ترد ملاحظة مثل هذا الصوت في اللهجات العربية الحديثة٠ ورغم ذلك فهناك صور نجدها في:

- فلسطين : مزدر (مصدر)
- القاهرة : مزدر (مصدر) (٤٥)٠

٦- ألف التفخيم:

نورد صورة هذه الألف في فلسطين وخاصة في منطقة الخضر وبيت جالا ومناطق أخرى:

- بوب في باب (الخضر)٠
- توكل في تاكل (العباسية ودورا / الخليل)٠
- نوكل في ناكل (العباسية ودورا / الخليل)٠

ويحتاج بحث هذا الموضوع إلى جهود متعاونة تعمل كفريق واحد لرصد هذه الظواهر في مختلف اقاليم اللغة العربية وتسجيلها ودراستها ونشرها نشرا علميا٠

رابعاً – غير المستحسن من فروع أصوات اللغة العربية

من الدراسين من أحجم عن دراسة هذه الأصوات أو التمثيل لها لأنها غير مستحسنة٠ فهم غير معنيين باشاعتها أو تعليمها أو الترويج لها٠ ومن هؤلاء سيبويه الذي لم يمثل لها في كتابه وابن جني في سر صناعة الاعراب حيث قال: (٠٠٠ وفي شرح أحوالها طول، فتركناه لذلك، لا سيما وليست الحاجة اليها كهذه، الا ان المشافهة تأتي عليها، وتوضح لك حالها)(٤٦)٠

أما نحن، في هذه المقالة، فسنصفها وصفا مختصرا يوضحها ويذكر بعض صورها في اللهجات المعاصرة لأن سيبويه ذكرها٠

(١) الكاف التي بين الجيم والكاف:

إننا لا نعرف بدقة النطق الحقيقي لهذا الصوت٠ ثم إن سيبويه لم يمثل له أبدا٠ وقد مثل له ابن عصفور فقال:
(٠٠٠٠ بفروع غير مستحسنة لا توجد الا في لغة ضعيفة وهي الكاف التي كالجيم، نحو (جمل) في كمل)(٤٧)٠

كَمَل ـــــ جَمَل

غير ان اظهار هذه الكاف برسم الجيم غير دقيق لأن الجيم مجهور والكاف صوت مهموس(٤٨)٠

ويبدو أن اعتبار هذا الصوت غير مستحسن يعود إلى كونه صوتا محدود الانتشار وكان يشيع في عوام أهل بغداد بصورة فاشية شبيهة باللثغة (٤٩)٠

وفي زماننا هذا يشيع هذا الصوت في العراق وفلسطين فيقولون:
كيف حالك، كعكه، ببكي٠
كما يشيع في اليمن، فيقولون في كافر: جافر(٥٠)٠

(٢) الجيم التي كالكاف:

يبدو أن هذا الصوت هو كسابقه والخلاف بينهما في الأصل والصفة٠ فأصل هذا الصوت الجيم التي يغلب عليها الجهر، وليست مجهورة تماما، لتأثير الكاف عليها٠ ونحن، رغم وصفه في بعض المراجع، نجهل ماهيته النطقية تماما٠ فسيبويه لم يمثل له، وابن عصفور مثل بكلمة (رجل) التي تصير بهذه الجيم (ركل) وأقرب شيء إلى هذا الصوت في اللهجات المعاصرة بعض صور الجيم القاهرية (٥١)٠ ونسمع المصريين يلفظون كلمة (أكبر) لفظا يقترب من الجيم القاهرية٠

(٣)- الجيم التي كالشين:

كما ذكرنا في الأصوات السابقة، نذكر هنا أننا نجهل تماما ماهية هذا الصوت النطقية لأن سيبويه لم يمثل له٠ وقد مثل له ابن عصفور بكلمة (اجتمعوا) التي تصير بهذه الجيم (اشتمعوا)(٥٢)٠ وورد في مؤلف كانيتنو لفظ (الأجدر) التي تصير بهذه الجيم (الأشدر)(٥٣)٠

وتشيع هذه الصورة الصوتية بين الفلاحين في أرياف مصر شمالا وجنوبا (٥٤)٠ كما تسمع في مناطق من فلسطين كقولهم: اشتهد (اجتهد) واشتر (اجتر)٠

وسبب استهجان هذا الصوت أنه لا يوجد مانع يمنع جوار الجيم للدال في (أجدر)٠ ولذلك لا يوجد سبب يدعو الى تحويل الجيم إلى شين فيجتمع في الكلمة الواحدة متنافران: صوت رخو (الشين) وشديد هو (الدال)٠ أما تحويل الجيم إلى شين في (اجتمعوا) فهناك دافع قوي إلى هذا التحويل وهو ما نحسه من صعوبة التقاء الجيم (المجهور الشديد) بالتاء (المهموس الرخو)٠ ولذلك يهرب الناطق إلى تهميس الصوت المجهور (الجيم) لتحقيق الانسجام الصوتي٠ ولذلك فان الرأي الذي ذهب إليه أستاذنا د٠ تمام حسان وهو أن هذه الجيم لا ترد إلا في موقع خاص هو قبل تاء الافتعال رأي غير سديد(٥٥)٠ فاذا كانت هذه الجيم مستهجنة فالكلمةالتي تمثلها هي (أجدر ـــ أشدر) لأن تحول الجيم إلى شين في مثل هذه الكلمة أمر مستهجن٠ وتمثيل القدماء لهذه الجيم بكلمة مثل (اجتمعوا) مستهجن مستغرب لأن تحول الجيم إلى شين في هذه الكلمة أمر مقبول غير مستهجن٠

(٤)- الضاد الضعيفة:

فما وجه الضعف في هذا الصوت؟ وحتى نعرف ذلك لا بد من معرفة وجه القوة في (الضاد القوية)٠ ولأن سيبويه لم يمثل لهذا الصوت فلا بد من العودة إلى ما يقوله عن صوت الضاد الذي من الأصول وموازنة هذا القول بما يقوله عن الضاد الضعيفة٠

فحرف الضاد عند سيبويه يخرج (من بين أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس)(٥٦) وهو صوت مجهور رخو مطبق٠ وأما (الضاد الضعيفة) فهي (تتكلف من الجانب الأيمن وإن شئت تكلفتها من الجانب الأيسر لأنها من حافة اللسان مطبقة لأنك جمعت في الضاد تكلف الاطباق مع ازالته عن موضعه٠٠٠)(٥٧) وهكذا يتضح أن وجه الضعف هو في تكلفها من الجانب الأيسر وخروجها عن موضعها٠ ورغم ذلك فان صورتها النطقية تبقى غير واضحة أبدا٠

فهل هي صوت يخرج بين الضاد والظاء؟(٥٨) أو هل هي صوت بين الضاد والتاء؟(٥٩) أو هل هي صورة لهجية خاصة تقترب من الضاد الحديثة التي هي دال مفخمة وليست ضادا عربية عريقة؟ (٦٠) إن هذا الغموض في وصف هذه الضاد دفع العلماء إلى هذه التساؤلات التي لا سبيل إلى الإجابة عنها إجابة مقنعة لأن هذه الضاد الضعيفة لا تتبين إلا بالمشافهة كما قال سيبويه٠

وفي اللهجات العربية المعاصرة صارت الضاد ظاء كما هو في بعض مناطق فلسطين والاردن والجزيرة العربية والعراق. كما صارت دالا كما في بعض لهجات فلسطين حيث يقولون: (بدك درب (ضرب)). والمثقفون يلفظونها دالا مفخمة. وفي جنوب الجزيرة العربية (منطقة دثينة) تنطق كاللام المفخمة فيقولون: تتقل به = تتقض به = تتقضى به(٦١)٠

٥- الصاد التي كالسين:

صوت الصاد المفخم ونظيره صوت السين المرقق يشتركان في صفات كثيرة فهما من مخرج واحد ومن الأصوات الرخوة (الاحتكاكية) ومن أصوات الهمس ومن أحرف الصفير٠ ويقول سيبويه: (ولولا الاطباق لصارت الطاء دالا والصاد سينا)(٦٢)٠ وابن سينا يقول : (وأما الصاد فيفعله حبس غير تام أضيق من حبس السين وأيبس٠٠٠ وأما السين فتحدث مثل حدوث الصاد الا أن الجزء

الحابس من اللسان فيه أقل طولا وعرضا)(٦٣)· لهذا كله ليس مستغربا أن يتأثر الصوتان ببعضهما إذا تهيأت الظروف الموضوعية لذلك· ومعنى قول سيبويه الذي لم يمثل لهذا الصوت أبدا أن الصاد تفقد بعض خصائصها المميزة لها فتقترب كثيرا من السين· وما الذي سيفقده الصاد غير التفخيم (الاطباق عند القدماء) أو بعضه؟ فهذا هو الذي يجعل الصاد كالسين·

وقد مثل اللغويون لهذا الصوت بكلمات مثل:

صابر ـــــــ سابر(٦٤)
صبغ ـــــــ سبغ
صائر ـــــــ سائر

والذي جعل سيبويه يعد هذا الصوت غير مستحسن هو أن استعمال السين مكان الصاد يلغي وجودها في العربية· ومعروف أن التفخيم وأصواته الأربعة المشهورة (الصاد والضاد والطاء والظاء) هو ما يميز العربية عن اللغات الأخرى (٦٥)· فليس في اللغات الأخرى، كما نعلم، تنوع فونيمي ينشأ عن التفخيم كالذي يحدث في العربية عند نطق هذه الأصوات· فاقتراب الصاد من السين يفقد العربية أعز خصائصها النطقية وهذا مما يرفضه العرب والمسلمون ومنهم سيبويه· كما أن هذا سيقود إلى لبس دلالي واضح·

وإننا نتندر على بعض العرب الذين لا يفخمون الصاد ثم يرققونها حتى تصل إلى قريب من السين، لأن هذا يقرب نطقهم من نطق غير العرب· ألا ترى أن غير العربي يصعب عليه نطق هذه المفخمات من أصوات العربية؟! لهذا كله كانت هذه الصاد مستقبحة·

فهل نجد شيئا من هذه الصاد في اللهجات العربية المعاصرة؟

إذا وجد شيء منه في اللهجات المعاصرة فسيكون بتأثير اللغات الأجنبية على العربية أو أن يكون من ينطقه يتشبه بغير العرب· وفي كلا الأمرين فان وجوده مستهجن في الذوق العربي الحديث· وأما المقبول في هذا الذوق فهو تحول السين إلى صاد ؟ لأنه يلائم سمة التفخيم في العربية (٦٦)·

ويدل الرصد اللهجي على أن مثل هذه الصاد السينية لا تكاد تكون في اللهجات المعاصرة إلا على ألسنة بعض المتشبهين بالأجانب، وهو قليل جدا، ولا يجعل هذه الظاهرة تشيع لأنها مستقبحة عند العرب المعاصرين.

٦- الطاء التي كالتاء:

الطاء صوت مفخم ونظيره صوت الدال عند سيبويه (٦٧). ولكن هذا الصوت يصعب تصوره، ولذلك يميل بعض الدارسين إلى أن نظير الطاء هو صوت التاء(٦٨). وهذا ما يثبته البحث العلمي المطبق على اللغة العربية المعاصرة. ورغم هذا فليس غريبا أن يكون في التراث العربي صورتان للطاء إحداهما نظيرها دال والأخرى نظيرها تاء.

وأهم ما يفترق فيه الطاء عن التاء صفة التفخيم (الاطباق). فالطاء صوت مفخم والتاء صوت غير مفخم. ومع أن سيبويه لم يمثل لهذا الصوت أبدا فانه يمكننا تصور هذا الصوت المذكور عند سيبويه على أنه طاء تفقد بعض خصائصها المميزة لها عن التاء. وقطعا فان ما تفقده هذه الطاء هي صفة التفخيم. فاذا فقدت الطاء تفخيمها أصبحت طاء غير مقبولة في الذوق العربي كما وضحنا هذا قبل قليل. ولذلك نعتقد أن هذا هو السبب في استقباحها عند سيبويه. كما أن نطق الطاء قريبا من التاء يجعل النطق العربي أعجميا كما نلمح هذا في نطق الأجانب ومن الأمثلة على هذا الصوت قول بعضهم: تالب (طالب)، بتة (بطة).

ولا نكاد نظفر بمثل واحد لهذا الصوت في اللهجات العربية المعاصرة، فالذوق العربي ينفر منه لابتعاده عن شخصيته العربية واقترابه من نطق الأجانب. ولا نكاد نجده الا عند من يتشبهون بالاجانب.

٧- الظاء التي كالثاء:

ويخرج صوتا الظاء والثاء من مخرج واحد هو بين الاسنان. وعلى الرغم من اشتراكهما في المخرج فانهما يختلفان في الصفات. فالظاء صوت مجهور مفخم والثاء صوت مهموس مرقق. فاذا أصبحت الظاء كالثاء فان هذا يعني أن تفقد الظاء بعض صفاتها من جهر وتفخيم أو كل هذه الصفات. وتكمن الصعوبة في تصور حقيقة نطق هذا الصوت في أن سيبويه لم يمثل له أبدا ولم يصفه وصفا

واضحا• وقد مثل له بعض اللغويين بكلمة (٦٩):

ظالم ـــــــ ثالم

غير أن اظهار هذا الصوت برسم الثاء لا يساعدنا في كشف حقيقته•

ويبدو أن سبب استهجان هذا الصوت يعود إلى السبب الذي وضحناه سابقا عند حديثنا عن صوتي (الصاد التي كالسين والطاء التي كالتاء)• فالعربية لا يمكنها التنازل عن التفخيم الذي يميزها عن غيرها من اللغات ويحفظ لها شخصية مستقلة• كما أن هذه الظاهرة قد تسبب مشكلات دلالية كبيرة لأن معنى كلمة (ظالم) من حيث الأصل الاشتقاقي يختلف عن معنى كلمة (ثالم) وهكذا• والمثل الوحيد الذي ورد عند سيبويه حول اقتراب الظاء من الثاء عندما تحدث عن الادغام فضرب مثلا لادغام الظاء في الثاء بعد أن تتحول الظاء إلى ثاء أو تتشبه الظاء بالثاء في قوله (٧٠):

احفظ ثابتا ـــــــ احفثّابتا

ظ ث ـــــــ ث ث

أما عن وجود هذا الصوت في اللهجات المعاصرة فليس هناك ما يشير إلى ذلك (٧١)•

٨- الباء التي كالفاء:

الباء والفاء يخرجان من مخرجين متجاورين• فالباء صوت شفوي والفاء صوت شفوي أسناني• والباء صوت مجهور شديد والفاء صوت مهموس رخو• فاذا أشبهت الباء الفاء فهذا يعني أنها ستفقد بعض صفاتها في الجهر والشدة• فكيف نعرف صورة هذه الباء المهموسة وسيبويه لم يمثل لها أبدًا؟ غير أن في الفارسية صوتا قريبا من الباء العربية والفاء العربية وقد يكون بينهما وهو صوت أل (P) أو (ب)• ومعروف أن العرب إذا عربوا الكلمات التي تتضمن هذا الصوت الفارسي حولوها إلى فاء صريحة• فربما تأثر صوت الباء العربية بال (P)الفارسية على نحو ما فأصبحت الباء قريبة من الفاء في بعض المواطن والأقاليم واللهجات وعلى أي حال فان التشبه بالعجم في النطق مستهجن مستقبح لا يرضاه الذوق العربي ولهذا كان هذا الصوت غير مستحسن أبدًا•

وقد وصف ابن سينا هذا الصوت الفارسي فقال: (ومن ذلك الباء المشدودة (الواقعة في لغة الفرس) عند قولهم: بيروزي وتحدث بشد قوي للشفتين عند الحبس وقلع بعنف وضغط للهواء بعنف)(٧٢) وهذا الوصف ينطبق تماماً على صوت ال (P)٠ ووصف ابن سينا صوتا آخر وهو فاء تشبه الباء فقال: (وتقع في لغة الفرس عند قولهم (فزوني) تفارق الباء بأنه ليس فيها حبس تام٠٠٠٠)(٧٣)٠ وهذا الوصف ينطبق على صوت ال(٧)٠ وعلى هذا فانه من غير المستبعد أن يكون صوت الباء التي كالفاء قد تولد عن تأثير هذين الصوتين الفارسيين ومما يؤكد هذا تعرب الفرس ودخولهم في الاسلام واختلاط العرب بهم في الحياة(٧٤)٠

ومن العلماء الذين أشاروا إلى هذا التنوع الصوتي ابن عصفور حيث قال: (والباء التي كالفاء، وهي على ضربين: أحدهما: لفظ الباء أغلب عليه من لفظ الفاء٠ والآخر، بالعكس، نحو :بلج)(٧٥)٠ فربما قصد بالأول صوت (P) وقصد بالثاني صوت ٧ والله أعلم٠

خامساً – الخاتمة

كانت هذه المقالة جولة في أثر لغوي نعتز به، ونحرص على التعمق في نصوصه، لأنه معلم من معالم علم اللغة العربية الذي لا ينطفىء توهجه على الزمن، لما اشتمل عليه من منهج في البحث دقيق، وخبرة لغوية غنية، وتحليل ذكي كشف عن أسرار هذه اللغة.

وأول ما يغرينا بدراسة ما حاولنا شرحه وتوضيحه منهج في البحث يقوم على الاستعمال اللغوي ورصد الظواهر اللغوية المنطوقة. إن سيبويه في منهجه الواقعي العلمي هو أستاذ سبق عصره بألف سنة ونيف. كانت كنوز سيبويه بين أيدينا نحن ويتسابق المتسابقون على فتات علماء اللغة في القرن العشرين ليتعلموا المنهج العلمي الدقيق في دراسة اللغة والذي يقوم على الوصف الواقعي والاستعمال اللغوي واللغة المحكية المعاصرة. وكانت هذه جميعا سمات منهج سيبويه في البحث اللغوي قبل ألف سنة ونيف.

وأمر آخر نكتشفه في دراستنا هذه هو أن التفكير الفونيمي ونظرية الفونيم، وما يتفرع عن الفونيم من صويتات (ألوفونات) تعود جميعا إلى أصل أو رمز يمثل عددا لا يحصى من التنوعات الصوتية ويتجسد في حرف مكتوب يخص سيبويه وحده وبذلك يكون أستاذ نظرية الفونيم منذ القرن التاسع الميلادي. وإن عبارته التي وصف فيها صعوبة التعبير عن هذه الصويتات وذلك قوله (لا تتبين إلا بالمشافهة) تعد إرهاصا يدعو علماء الأصوات أن يبحثوا عن ألفباء صوتية تكون قادرة على تسجيل كل صويت يظهر في الاستعمال اللغوي وعلى المستوى اللهجي. غير أن علماء العربية الذين لم يعوا تماما عمق سيبويه وسعة أفقه أهملوا هذه الدعوة حتى تحققت في القرن العشرين على يد زملائهم من الغرب.

ثالث هذه الأمور التي نتعلمها من هذه الدراسة أن أي لغة في الدنيا تحيا على محورين متضادين ولكنهما يكملان بعضهما: محور ثابت في أصول الأصوات، ومحور متغير في فروع هذه الأصوات. وإن المحور الثابت يتأصل بالرموز الكتابية (الحروف) والمحور المتغير يتأصل بالمشافهة والاستعمال. وفي بحث سيبويه لفتة بارعة تهدف إلى حفظ اللغة وصيانتها من التغير الذي لا يحصى. وهذه اللفتة تظهر في تحذيرنا من قبول كل تغير صوتي، فليس كل تغير صوتي مستحسنا ولكن منه المستحسن ومنه غير المستحسن والذي

يحكم في ذلك الناطق المثالي أي من ترتضى عربيته. فاذا ربطنا هذا كله بقراءة القرآن والشعر كنوز ثروتنا اللغوية أدركنا كيف تصان اللغة من التغير الفردي والمزاجي الذي لا يقف عند حد، وبذلك ، إن حصل، يصبح كل مزاج لهجة، وتصبح كل لهجة لغة، فتكون كل لغة أمة، وتغدو الأمة أممًا.

وأمر رابع نتعلمه هو أن لكل لغة شخصيتها التي تتضح في قوانينها الصوتية. والقوانين الصوتية التي تتفق ونظامها الصوتي معين لا ينضب لا يجوز بأي حال من الأحوال أن نتوقف عن البحث فيها وتعرفها، فهذا مطلب أساسي يعمق الألفة بين باحثينا ولغتهم حتى إذا غزيت بقوانين تهدف إلى التشويش والخلط الفوضوي الذي يدمر نظامها الصوتي لهذه الأصوات غير المستحسنة من فروع أصوات العربية، عملنا على نبذ ذلك وتصفية الطيب من الخبيث.

ونتعلم من هذه الدراسة كيف نصل الحاضر بالماضي. ومن عجب أن الباحث عندما يدرس هذه الأصوات ويوازنها بما توقعه قيثارة الناطق العربي المعاصر من أصوات أصول، وأخرى فروع، لا يملك إلا أن يعترف بظاهرة الثبات الصوتي في هذه اللغة، ولا يملك إلا أن يكتشف سببا واحدا لهذا الوهج الأخاذ الذي لم نر مثيلا له في الظواهر اللغوية عند سائر الأمم، وهذا السبب هو ارتباط لغتنا بالقرآن الكريم.

جزى الله سيبويه عنا وعن الأمة كلها خير الجزاء عندما جعلنا نفتح عيوننا على المستحسن من فروع أصوات اللغة العربية، وغير المستحسن منها، لأن هذا سيجعلنا اكثر حذرا من هذه الروافد اللغوية المتعددة التي يحملها معهم الداخلون في دين الله أفواجا من كل لون وجنس. وكأنه يعلن لكل إنسان ينتسب إلى هذه الأمة أن لغتنا ترتبط بقرآننا وقرآننا يقرأ على كذا وكذا. فاذا كنت أيها الداخل أو المنتسب الجديد تحمل من الأفكار ما يقود إلى الانفلات والفوضوية فحذار حذار لأن الناس كل الناس سيكونون لك بالمرصاد.

هوامش البحث

(١) سيبويه، **كتاب سيبويه**، ٤٠٤/٢ (طبعة بولاق) و٤٣٤/٤ (طبعة هارون)٠

(٢) المرجع السابق نفسه والمكان نفسه٠

(٣) ابن جني، **الخصائص**، ٩٢/١

(٤) المزني، **كتاب الحروف**، ص٨٥

(٥) الرماني، **كتاب معاني** الحروف، ص ١٥٠

(٦) ابن جني، **سر صناعة الإعراب**، ٥٣/١

(٧) المبرد، **المقتضب** ٣٢٨/١

(٨) تمام حسان، **اللغة العربية معناها ومبناها**، ص ٥٣

(٩) ابن عصفور، **المقرب**، ٣٢٠/١

(١٠) **كتاب سيبويه** ١٦٣/٢ ـ ١٦٤

(١١) **سورة البقرة** آية ٢٦٠ وآية ٧٤ من الأنعام و ٣٥ من ابراهيم و ٢٦ من الزخرف

(١٢) حتى المستشرقون اعتمدوا تماما على سيبويه٠ انظر: كانتينو ص ١٢٤

(١٣) **المقتضب** ٢٩٢/١ ـ ٢٩٤

(١٤) **سر صناعة الإعراب** ٥٣/١ ـ ٥٥

(١٥) **كتاب سيبويه** (طبعة هارون) هامش ٢ ص ٥٤٣ من ج ٣

(١٦) سر صناعة الاعراب ١/٥٥

(١٧) المقرب ١/٣٢٠

(١٨) المقتضب ١/٣٣٠

(١٩) سر صناعة الاعراب ١/٥٥

(٢٠) كتاب سيبويه ٢/٢٥٩ ـ ٢٦٠

(٢١) المرجع السابق ٢/٢٦٢ ـ ٢٦٣

(٢٢) سر صناعة الاعراب ١/٥٨

(٢٣) عبد العزيز مطر، لهجة البدو في اقليم ساحل مريوط ص ٦١، وانظر: كانتينو ص ١٥٦ ـ ١٥٩

(٢٤) كتاب سيبويه ٢/٢٦٤، وانظر: المقرب ١/٣٢٤

(٢٥) ابن سينا، رسالة أسباب حدوث الحروف ص ٧٥ ـ ٧٦

(٢٦) سر صناعة الاعراب ص ٥٦

(٢٧) ابن يعيش، شرح المفصل ١٠/١٢٧

(٢٨) الرضي الاستراباذي، شرح شافية ابن الحاجب ٣/٢٥٥ ـ ٢٥٦

(٢٩) كتاب سيبويه ٢/٤٢٧

(٣٠) المقرب ١/٣٢٠

(٣١) سر صناعة الاعراب ١/٥٦

(٣٢) ياسر الملاح، "التطور والثبات في اصوات اللغة العربية،" **مجلة جامعة بيت لحم**، مجلد ٦/ ١٩٨٦ ص٤٩.

(٣٣) **كتاب سيبويه** ٤٢٦/٢

(٣٤) المرجع السابق نفسه والمكان نفسه.

(٣٥) المرجع السابق نفسه والمكان نفسه. وانظر: **سر صناعة الاعراب** ٥٦/١ - ٥٧ و كانتينو ص ٧٣ **والمفصل في علم العربية** ص٣٧٣

(٣٦) **سر صناعة الاعراب** ٥٦/١

(٣٧) **كتاب سيبويه** ٤٠٤/٢

(٣٨) **اللغةالعربية معناها ومبناها** ص ٥٣

(٣٩) محمد سعيد ملحس، **احكام تجويد القرآن على رواية حفص**، ط ١٢، ص ٢٢

(٤٠) كانتينو ص ٦٢

(٤١) **لهجة البدو في اقليم ساحل مربوط** ص ٨٠

(٤٢) المرجع السابق نفسه ص ٥٢ - ٥٥

(٤٣) كانتينو ص ١٦٠

(٤٤) **اللغة العربية معناها ومبناها** ص ٥٤

(٤٥) المرجع السابق نفسه والمكان نفسه

(٤٦) **سر صناعة الاعراب** ٥٧/١

(٤٧) المقرب ٣٢٦/١

(٤٨) اللغة العربية معناها ومبناها ص ٥٤

(٤٩) شرح المفصل ١٢٧/١٠

(٥٠) سر صناعة الاعراب ٥٧/١ ـ ٥٨ هامش ٩

(٥١) اللغة العربية معناه ومبناها ص ٥٥

(٥٢) المرجع السابق نفسه والمكان نفسه

(٥٣) كانتينو ص ٨٩

(٥٤) اللغة العربية معناها ومبناها ص ٥٥

(٥٥) المرجع السابق نفسه والمكان نفسه

(٥٦) كتاب سيبويه ٤٠٥/٢ ذكر كانتينو أن السيرافي شرح كتاب سيبويه ففسر الضاد الضعيفة بأنها كانت تنطق كالظاء أو بين الضاد والظاء (كانتينو ٨٦).

(٥٧) المرجع السابق نفسه والمكان نفسه.

(٥٨) شرح المفصل ١٢٨/١٠

(٥٩) الممتع في التصريف ٦٦٦/٢

(٦٠) كانتينو ص ٨٥

(٦١) المرجع السابق نفسه ص ٨٧

(٦٢) كتاب سيبويه ٤٠٧/٢

(٦٣) رسالة أسباب حدوث الحروف ص ٧٧

(٦٤) المقرب ٣٢٦/١

(٦٥) ياسر الملاح، "الاصوات المفخمة في العربية الفصيحة (بالانجليزية)،" مجلة جامعة بيت لحم، مجلد ٢ سنة ١٩٨٣، ص ٥٢:
The Emphatic Sounds in Classical Arabic: A Phonological Description

(٦٦) كانتينو ص ٧٢ ـ ٧٤

(٦٧) كتاب سيبويه ٤٠٧/٢

(٦٨) سلمان العاني، التشكيل الصوتي في اللغة العربية (ترجمة د٠ ياسر الملاح) ص ٧٢٠ وانظر: ياسر الملاح، مجلة جامعة بيت لحم، مجلد ٦، سنة ١٩٨٧ ص ٥٥٠

(٦٩) المقرب ٣٢٦/١

(٧٠) كتاب سيبويه ٤١٩/٢٠ وانظر: كانتينو ص ٦٧٠ واللغة العربية معناها ومبناها ص ٢٩٠

(٧١) كانتينو ص ٦٧ ـ ٧١

(٧٢) رسالة اسباب حدوث الحروف ص ٩١

(٧٣) المرجع السابق نفسه ص ٩٠

(٧٤) انظر: اللغة العربية معناها ومبناها ص ٥٧

(٧٥) المقرب ٣٢٦/١

المراجع

تمام حسان، **اللغة العربية معناها ومبناها**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٣.

ابن جني (-٣٩٢هـ)، **الخصائص** (١ -٣)، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، **سر صناعة الإعراب** ج١، (تحقيق مصطفى السقا وزملائه)، شركة مكتبة مصطفى الحلبي، القاهرة، ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٤م.

الرضي الاستراباذي (-٦٨٦هـ)، **شرح شافية ابن الحاجب**، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٥.

الرماني النحوي (-٣٨٤هـ)، **كتاب معاني الحروف** تحقيق د. عبد الفتاح اسماعيل شلبي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٣

الزمخشري (-٥٣٨هـ)، **المفصل في علم العربية**، دار الجيل، بيروت، ط٢،؟.

سلمان العاني، **التشكيل الصوتي في اللغة العربية** (ترجمة د. ياسر الملاح)، النادي الأدبي الثقافي، جدة، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

سيبويه (-١٨٠هـ)، **كتاب سيبويه** (١ - ٢)، طبعة بولاق، القاهرة، ١٣١٦هـ.

ابن سينا (- ٤٢٨هـ)، **رسالة أسباب حدوث الحروف**، تحقيق محمد حسان الطيان ويحيى ميرعلم، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

عبد العزيز مطر، **لهجة البدو في اقليم ساحل مريوط**، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٣٨٦هـ / ١٩٦٧م.

ابن عصفور الاشبيلي (- ٦٦٩هـ)، **المقرب** (١ - ٢) تحقيق الجواري والجبوري، مطبعة العاني، بغداد ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م٠

----------، **الممتع في التصريف** (١ -٢) تحقيق د٠ فخر الدين قباوة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٩م٠

غانم قدوري الحمد، **الدراسات الصوتية عند علماء التجويد**، مطبعة الخلود، بغداد، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م٠

كانتينو، جان، **دروس في علم أصوات العربية**، ترجمة صالح القرمادي، نشر مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية بالجامعة التونسية، تونس، ١٩٦٦م٠

المبرد (- ٢٨٦هـ)، **المقتضب** (١ -٤)، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، نشر مركز البحوث الإسلامية، القاهرة، ١٣٨٨هـ٠

محمد سعيد ملحس، **احكام تجويد القرآن على رواية حفص**، ط ١٢، شركة عبد الرحمن حجاوي وأولاده، نابلس ، ١٤٠٥هـ /١٩٨٤م٠

المزني (- ؟)، **الحروف**، تحقيق د٠ محمود حسني ود٠ محمد حسن عواد، دار الفرقان، عمان، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م٠

ياسر الملاح،"التطور والثبات في أصوات اللغة العربية الفصيحة،" **مجلة جامعة بيت لحم**، المجلد ٦، آب ١٩٨٦م٠

----------، "الأصوات المفخمة في العربية الفصحى (بالانجليزية)،" **مجلة جامعة بيت لحم**، المجلد٢، ١٩٨٣٠

----------، **الأصوات اللغوية**، نشر مركز الابحاث الاسلامية، القدس، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠٠

ابن يعيش (- ٦٤٣هـ)، **شرح المفصل** (١ - ١٠)، ادارة الطباعة المنيرية، مصر،؟٠